

جمعية المهندسين الملكية المصرية

« تاسست فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ »

ومعتمدة بمرسوم ملكى بتاريخ ١١ دسمبر سنة ١٩٢٢

« النشرة الثامنة عشر للسنة الرابعة »

٥٢

محاضرة

قبة الصخرة والمسجد الاقصى

لحضرة مصطفى بك حمدى القطان

« ألقيت بجمعية المهندسين الملكية المصريه »

فى ١٣ يونية سنة ١٩٢٤

الجمعية ليست مسؤلة عما جاء بهذه الصحائف من البيان والآراء

تنشر الجمعية على أعضائها هذه الصحائف للنقد وكل نقد يرسل للجمعية يجب ان يكتب بوضوح وترفق به الرسومات اللازمة بالحبر الاسود (شيني) ويرسل برسمها صندوق البريد رقم ٧٥١ بمصر

الحرم القدسى

ومشروع إصلاحه

ايها السادة

لا نزاع فى ان المملكة الاسلامية فى عهد بنى اميـــة كانت امتدت على حساب الدولة الفارسية والامبراطورية الرومانية الشرقية المعروفة بالامبراطورية البيزنطية التى كان مقرها القسطنطينية

هاتان الدولتان كانتا عريقتان فى المدنية بقدر ما كانتا راقيتين فى الصنائع والفنون . واخصها العمارة على اختلاف أنواعهـــا وتباين اشكالها

ادرك الامويون ان عظمة الامم تتجلى فى فنونها وصنائعها فعمدوا الى اقامة العمائر الشاهقة البديعة اظهاراً لتفوقهم الفنى كما برعوا فى الدهاء السياسى فانشأوا من العدم مدنية وقاموا فى عصور الظلمات بأعمال لا يكاد يصدق الناظر اليها انها بنت قرائحهم وثمرة عقولهم

واذا كانت معجزاتهم فى الاندلس قد وصل الى حضراتكم خبر بعضها بالمناظر التى عرضت عليكم فى جلسة سابقة عن بعض تفاصيل قصر الحمراء فاننا اليوم نتقدم اليكم بحكاية « الحرم القدسى الشريف » الذى نتشرف بأن نعرض على حضراتكم منظراً عاماً له

يشتمل هذا الحـرم على المسجد الاقصى والصخرة الشريفة وما

يحيط بهما من مبان أثرية فخيمة شيدها ملوك مصر وأمرائها وغيرهم على توالى العصور

وهو يقع على رقعة من الارض، مستطيلة الشكل، متوسط طولها ٤٨٢ متراً ، ومتوسط عرضها ٣٠٢ متراً ، يحيط بها سور يبلغ متوسط ارتفاعه ٣٥ متراً، مبنى بحجارة وصل بعضها الى نحو الخمسة أمتار طولا

ايها السادة

لما كان المسجد الاقصى وقبة الصخرة هما الغرض الاساسى من هذه المحاضرة فسيكون بحثنا قاصراً عليهما من الوجهتين التاريخية والفنية

الوجهة التاريخية

للمكان الذى شيد عليه المسجد الاقصى وقبة الصخرة منزلة دينية سامية يقدسها المسلمون والمسيحيون واليهود بل والوثنيون . انشأهما عبد الملك ابن مروان الخليفة الاموى سنة ٧٢ ه . كما ثبت من نقوش الفسيفساء عند المدخل الجنوبى لقبة الصخرة

وقد حدث عند سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ان احد أشياع هذه الدولة الاخيرة ـ فى عهد الخليفة المأمون ـ اراد محو اسم عبد الملك ابن مروان واحلال اسم المأمون محله ايهاماً بأن هذا الاخير هو الذى انشأ الحرم القدسى فمحى اسم عبد الملك واستعاض

عنه بالمأمون ولكنه نسي تصحيح تاريخ الانشاء وجعله مطابق لعهد حكم هذا الخليفة العباسي فانكشف التزوير وثبت الحق

الوجهة العمارية

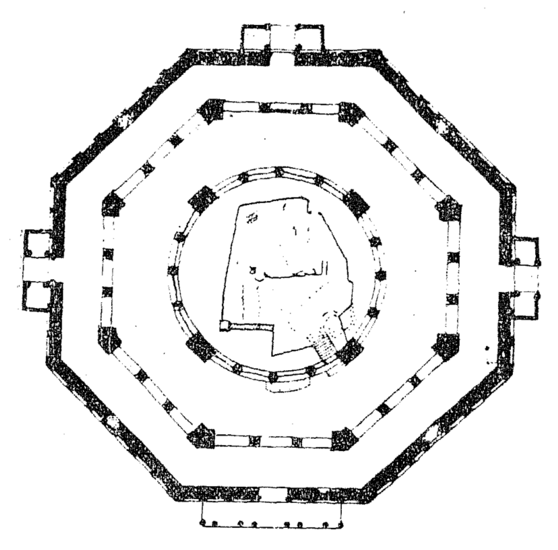
قبة الصخرة ـ شيدت هذه القبة الشريفة على مساحة مستطيلة مفروشة بالبلاط المصقول يعلو مستواها مستوى ما حولها من الطرق بنحو ٣ امتار ويصعد اليها من جهاتها الاربع بسلالم اربعة

وهي تتكون من بناء ثماني الاضلاع منتظم طول ضلعه ٢٠٫٤٠ متراً مكسي سفله الخارجي بالرخام الابيض المجزع يعلوه القاشاني الملون بأبدع الالوان ما بين لازوردي صاف واخضر قاتم وابيض ناصع يلي ذلك أفريز رسمت عليه آي القرآن الكريم بخط جميل وقد صنع هذا القاشاني في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٩ ا هـ

المسقط الافقي لقبة الصخره

وفي اربعة من اضلاع المثمن سبع طاقات لكل ضلع . وفي كل من الاربعة الاخرى المشروعة فيها ابواب القبة ست طاقات . بعضها النافذ مركب عليه زجاج ومصبعات حديد تدل حالتها على انها عملت في القرن العاشر الهجري . اما الطاقات التي تكتنف زوايا المثمن فمسدودة للزيادة في متانة البناء

المثمن ابواب ضلاف



مسقط افقي لقبة الصخرة

وداخل هذا المثمن مثمن آخر يتألف من ثمانية اكتاف سداسية الاضلاع (غير منتظم) تحصر بينهما ١٦ عموداً مختلفة الالوان

وداخل المثمن هذا الثاني حلقة مكونة من اربعة اكتاف رباعية الشكل تحصر بينهما ١٢ عموداً . وهذه الحلقة او الاسطوانة المفرغة تحمل رقبة فوقها قبة باطنها مزين بمجموعة لا نظير لها من الفصوص الملونة المركبة على سطح موشى بالذهب . اما رقبة القبة فمشروع فيه

ست عشرة طاقة مركب عليها ضاف من زجاج مختلف الالوان والاشكال تنفذ منها أشعة الشمس صافية ملطفة . وعلى هذه الطاقات نقوش تدل على انها صنعت في زمن السلطان سليمان سنة ٩٤٥ هـ . كما ان المرمر الذى كساها به السلطان صلاح الدين الايوبى جدد فى عهد السلطان سليمان المذكور ايضاً

والاكتاف ملبسة بالرخام المشجر والملون البديع . والاعمدة قديمة العهد تحمل تيجاناً من طرز مختلفة بين رومانية و بيزنطية . ويربط أعمدة المثمن الثانى بعضها ببعض وبالاكتاف بسماتل (أوتار) مكسية بالشوفان (البرنز) المنقوش بالذهب

ويغطى المسافة المحصورة بين الحلقة الاسطوانيـة وبين المثمن الخارجى سقفاً مائلا الى الخارج قليلا تعمل الاطراف الداخليـة لمربوعاته كدعائم تسند رقبة القبة . وهذا السقف مطلى بالدهان البديع

والصخرة الشريفة الكائنة داخل الحلقة الاسطوانية ، محاطة بدرابزين من خشب منقوش ومطلى بالدهان المختلف الالوان . ويبلغ طولها ١٧٫٧٠ متراً ويتراوح ارتفاعها عن مستوى ارض القبة بين ١٫٢٥ متر وبين مترين . وتحتها مغارة ينزل اليها باحدى عشرة درجة من جهة القبلة . وعند باب المغارة عقد مكسى بالرخام العجيب محمول على عمودين . وبباطنها محرابان لكل محراب عمودى رخام لطيفين . وأمام المحراب الايمن صفة تسمى مقام الخضر ، يواجهها عمود رخام رأسى واصل للسقف وآخر راقد وفى الركن الشمالى من المغارة صفة تسمى مقام الخليل

وجميع أرضية قبة الصخرة والمغارة مفروش بالرخام ، وفى وسط المغارة بلاطة مستديرة ، ينبعث عنها ، اذا نقر عليها ، رنين تتجاوب اصداؤه مما يدل على خلو تحتها

وحول الدرابزين الخشب مصلى النساء وهو محاط بالقضب الحديدية من جميع جهاته وله أبواب اربعة لا يفتح منها عادة الا الباب الغربى الموازى لباب النساء ، وهو من عمل الصليبيين أيان احتلالهم بيت المقدس

المسجد الاقصى — هذا المسجد واقع جنوبى قبة الصخرة وطوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً عدا الملحقات . وهو يتكون من رواق مفتوح فى جانبه القبلى سبعة ابواب يؤدى المتوسط منها الى صحن المسجد والستة الباقية تؤدى الى ستة أروقة ثلاثة منها على يمين الصحن والثلاثة الباقية على يساره . وفى الطرف القبلى للصحن — امام المحراب — قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة المذهبة . وهى كقبة الصخرة مكونة من طبقتين احداهما داخليه ، وهى المزين باطنها ، والاخرى خارجيه مكسى ظاهرها بالرصاص على مثال كسوة قبة الامام الشافعى المصنوعة من الخشب ايضاً . و بين الطبقتين فراغ يساعد على مرور الراغب فى الوقوف على حالة الاضلاع ، والطبق لكل من الطبقتين . اما طارات الاروقة (البوائك) فمحمول بعضها على أعمدة من رخام مختلفة الطرز والبعض الآخر على اكتاف حجرية كذلك السقوف فبعضها عادى مركب من مربوعات خشبية فوقها طبق يعلوه بلاط والبعض الآخر من « عقود مصلبة بنائية » ولا يوجد جملون حديدى الا على جزء من سقف الصحن

و يجاور المسجد من الغرب جامع النساء ومن الشرق جامع عمر ومن الآثار المهمة فى الحرم الشريف البناء المعقود بالحجر الكائن أسفل المسجد الاقصى ــ و يعرف عند الافرنج باصطبل سليمان وهو عبارة عن مهد عيسى ومحراب مريم وغيرهما

ايها السادة

طرأت على عمارة الحرم طوارىء كثيرة في أزمان مختلفة . ففى عهد ابى جعفر المنصور العباسى سقط جانبا المسجد الشرقى والغربى فأصلحتا ودفعت نفقة الاصلاح دراهم ودنانير ضربت من صفائح الذهب والفضة التى اقتلعت من وجوه الابواب بناء على أمر ذلك الخليفة البخيل

وفى خلافة المهدى حصل زلزال هدم ما أصلحه سلفه المنصور فأصلح الخلل بعد ما ادخل بعض تغييرات على البناء تضمنت بناء قبة واضافة اربعة اروقة اخرى » على ما يقول « دى فوجيه »

وفى خلافة المأمون (سنة ٢١٦) ه اصلحت قبة الصخرة . ثم جاءت زلزلة سنة ٤٠٧ ه فهدمت بعض أجزاء من القبة اصلحها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمى

ولما حاصر الصليبيون بيت المقدس حولوا قبة الصخرة الى كنيسة والمسجد الاقصى الى مقر ملكى كما حولوا اصطبل سليمان الى اصطبل لخيولهم . فجاء صلاح الدين الايوبى سنة ٥٨٣ ه . وهدم ما أحدثوا وأعاد الحرم الى ما كان عليه مع زيادة فى الزخرف

وفى سنة ٦٣٤ ه قام الملك المعظم عيسى بن اخى صلاح الدين بعمارة الرواق البحرى من المسجد الاقصى ووجهته البحرية

وفى سنة ٦٦٨ ه عمر السلطان الملك الظاهر بيبرس المسجد ورمم صدع الصخرة الشريفة وجدد فصوصها التى على رخامها الخارجى

وعمر السلطان الملك المنصور قلاوون الصالحى سنة ٦٨٦ه سقف المسجد الاقصى من جهة القبلة مما يلى الغرب . وفى ايام السلطان الملك العادل كتبغا (سنة ٦٦٥ ه) جدد فصوص الصخرة الشريفة

وعنى الملك الناصر محمد بن قلاوون فى عهد سلطنته الثالثة بعمل رخام صدر المسجد الاقصى وفتح الشباكين المكتنفين المحراب وجدد تذهيب قبة المسجد وقبة الصخرة سنة ٧١٨ ه وفى عهده عمر الامير تنكز يفا الناصرى حاكم الشام رمم رخام قبلة المسجد والجانب الغربى منه . ثم جاء بعد ذلك الملك الاشرف شعبان فعمل أعمالا كثيرة منها تجديد الابواب الخشب المركبة على المسجد كما عمر الظاهر ابى سعيد برقوق دكة المؤذنين بقبة الصخرة تجاه المحراب، وعقبه الملك الظاهر أبى سعيد جقمق فعمر سقف الجزء القبلى من قبة الصخرة وكان قد احترق

وفى سنة ٨٧٧ امر السلطان الملك الاشرف ابى النصر بعمارة الدرج الموصل الى صحن الصخرة وجدد رصاص قبتها سنة ٨٨٤ ه

وفى عهد سلاطين بنى عثمان تمت فى الحرم عمارات متعددة فان السلطان سليمان القانونى وضع زجاج شبابيك الصخرة سنة ٩٤٥ كما وضع القاشانى البديع المحيط بقبة الصخرة من الخارج سنة ٩٦٩ ه

ثم عاد السلطان عبد العزيز فجدد رصاص قبتها وتبعه السلطان عبد الحميد فاصلح بابها الغربي

نظرة فنية

روى لنا التاريخ بان المسجد الاقصى قام على انقاض بازيليكة (كنيسة) العذراء الكبيرة التى بناها يوستيان الاول الذى حكم من سنة ٥٢٧ ـ الى سنة ٥٦٥ .م. وهذا الطرز من الكنائس يحتوى دائماً على صحن مرتفع مغطى بسقف جملونى ، ويكتنف الصحن عدد متماثل من الاروقة المغطاة بسقف أوطأ من سقف الصحن عادة . هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان من الكنائس البيزنطية تضم صحناً مربع الشكل مغطى بقبة كثيراً ما تكون مادتها الخشب تغطيها قبة اخرى منفصلة عنها ومكسية بمادة معدنية كالزنك او الرصاص ومن هذا القبيل قبة كنيسة سنت فيتال برافينا وغيرها من الكنائس البيزنطية

كذلك اقامة القباب على قاعدة اسطوانية او مضلعة فانها فى الاصل بدعة رومانية ولكن فتح النوافذ فى الرقبة جاء عن طريق قبة مسجد اياصوفيا الذى كان قديماً كنيسة بيزنطية

من هذا التمهيد يفهم أن قبة الصخرة قد سرت فى تصميمها الروح البيزنطية . ومثلها قبة الاقصى بل والمسجد نفسه . لان عادة جعل اتجاهات أطوال الاروقة والصحن عمودية على جدار المحراب ، ثم تعلية سقف الصحن عما حوله من السقوف الاخرى هى تقاليد

بيزنطى ، وهذا مما يدع مجالا للشك فى ان عبد الملك بن مروان لابد وان يكون قد استعان فى بناء الحرم القدسى بمهندسين من غير اهل البلاد بل ولا يبعد ان تكون اجناب الصحن والاروقة أقيمت على اساسات صحن واروقة باز يليكة يوستيان. هذا اذا لم نشأ ان نصدق ما رواه المؤرخون من عبد الملك بن مروان بناها هى والمسجد الاقصى تقليداً لعمارتى « المارتيريون » و « انسطاسيس » اللتين بناهما الامبراطور قسطنطين فى القدس وجعل اتجاه محاربهما على نفس اتجاه بنايتى عبد الملك » . اما مبالغته فى زخرفتهما وتزيينهما فراجعة الى رغبته فى تحويل الحج الى المسجد الاقصى بعد ما حال بينه و بين الكعبة المكرمة خصمه عبد الله بن الزبير الذى قام حينذاك خليفة فى الحجاز

والظاهر ان مهندسى المارستان المنصورى (قلاوون) او قلاوون نفسه كان من المعجبين بالحرم الشريف فبنى فوق تربتـــه الكائنة بالنحاسين قبة تحمل شبهاً كبيراً لقبة الصخرة وبنى أمامها مسجداً جعل سقف صحنه أعلا مما يجاوره من السقوف الاخرى ثم جعل امتداد البوائك عمودياً على حائط المحراب دون مراعاة التقاليد والعرف والعمل على جعلها موازية بدل التعامد

أحس القائمون على الحرم بتصدع مبانيه قبيل الحرب الكبرى وازداد التصدع إبان الحرب حتى قدر المال اللازم لاصلاحه بنحو ٧٥ الف جنيه . ولما وضعت الحرب أوزارها تألف المجلس الشرعى الاسلامى الاعلى ثم كشف على البناء فاذاً اصلاحه يحتاج الى ١٥٠ الف

جنيه على أقل تقدير . فصرف المجلس همه للشروع فى الاصلاح حالا وألف لجنة فنية تحت رئاسة معمار تركى اسمه الاستاذ كمال الدين بك اخذت على عاتقها وضع المشروعات اللازمة للاصلاح ووسائل تنفيذه وفعلا قامت بوضع مشروعات ثلاثة وهى :

١ — الاصلاح البسيط للمسجد الاقصى وهذا روعى فيه الاحتفاظ بقبته وهذا يتكلف نحو ٢٣ الف جنيه

٢ — الاحتفاظ بالقبة الداخلية للمسجد الاقصى وتجديد القبة الخارجية علاوة على الاصلاحات الضرورية لما تحت القبة

٣ — هدم القبة واعادتها من الخرسانة المسلحة وتجديد الجملون المغطى لسقف المسجد وكذلك رقبة القبة وعقودها والاعمدة الحاملة بها

اما قبة الصخرة فالاصلاحات اللازمة لها لم تكن من الخطورة بدرجة تدعو الى الاهتمام كحالة المسجد الاقصى

وقد أوصت الهيئة الفنية او بالحرى الاستاذ كمال الدين بك بقبول المشروع الثالث من مشروع الهدم والتجديد — اصلاحيته ولان الهيئة لا ترى فائدة فى المشروعين الاول والثانى بل ولا تتحمل تبعة تنفيذها

غير ان المجلس الاسلامى الاعلى الموقر — وهو هيئة ادارية تعمل بجد وحزم وحذر — لم يكن فى وسعه البت فى صلاحية احدى المشروعات الثلاثة وتفضيله على سواه وتحمل تبعة تنفيذه فعمد الى قرار جاء غاية فى الحكمة والسداد

ذلك انه قرر عقد مؤتمر فنى دولى فى القدس الشريف لفحص حالة مبانى الحرم واختيار أنجع الطرق لاصلاحها . وكان من حسن حظى ان شرفتنى هذه الجمعية الموقرة بالنيابة عنها فى ذلك المؤتمر فغادرت القاهرة مساء الجمعه ١٥ فبراير سنة وبلغت القدس ظهر يوم السبت رفقة حضرة الاستاذ الفاضل عادل جبر بك مدير مكتبة القدس وكان معنا نائبا عن وزارة الاوقاف حضرة محمود افندى احمد مهندس الآثار العربية فقوبلنا بحفاوة وحماس لا تزال ذكراهما ماثلة في ذهنى الى هذه الساعة وستبقى الى ما شاء الله

ايها السادة

كنا مدركين تمام الادراك أهمية مأموريتنا وخطورة القرار الذى نعطيه فيها لا لان البحث الفنى الذى ألقى على عاتقنا دقيق فحسب بل لان القرار الذى نتخذه لابد وان يكون مبنياً على اعتبارات دينية وسياسية وأثرية علاوة على الاعتبارات الهندسية

لهذا وضعنا هذه الغاية نصب أعيننا منذ وطئت أقدامنا بيت المقدس ولم نشأ ان نضيع لحظة واحدة من وقتنا سدى فبدأنا عقب وصولنا ببضع ساعات بزيارة هيئة المجلس الاسلامى الاعلى فوجدنا فيه كل صفات الكمال والغيرة التامة على الحرم والرغبة الخالصة فى انهاضه من كبوته بكل وسيلة حتى ولو أدى ذلك الى بذل ممتلكاته الشخصية . وبعد التعارف بأعضائه الكرام ذهبنا تواً الى المسجد الاقصى فقبة الصخرة وكونا من حالتهما فكرة عامة

وفى صباح اليوم التالى (الاحد) استأنفنا البحث بحضور بعض أعضاء الهيئة الفنية . الذين قدموا لنا بيانات غير صريحة قيل لنا مراراً انها شخصية وان البيانات الوافية عند الاستاذ كمال الدين بك الذى لم يتنازل ويرغب فى مقابلتنا الا يوم انعقاد المؤتمر فقط

ايها السادة

كنا نعتقد اول الامر أن مشروعات الاصلاح الثلاثة السابقة الذكر موضوعة باسلوب فنى على نسق المشروعات التى يضعها المهندسون للاعمال الهامة مدعم كل منها بالادلة والاسانيد التى تساعد على اتخاذ قرار حاسم بشأنه

كنا نعتقد ذلك ونعتقد ان مأموريتنا خاصة بفحص هذه المشروعات وتمحيصها بعد توزيعها علينا مطبوعة ولكن شيئا من ذلك لم يكن بل كانت المشروعات المذكورة مجرد آراء ثلاثة ألهمناها من خلال مناقشاتنا مع بعض رجال الهيئة الفنية الذين رافقونا . وبذلوا جهدا عظيما لاقناعنا بقبول المشروع الثالث ـ مشروع هدم القبة وتجديدها هى ورقبتها والعقود ثم تغطية سقف الصحن بجملون حديدى

كنا على استعداد لقبول هذا المشروع ـ الذى يصح أن نسميه مشروع كمال الدين بك ـ لو اننا وجدنا داعيا له او لو ان الهيئة الفنية استطاعت أن تقنعنا بصلاحيته وهيأت الوسائل الهندسية لهذا الاقناع . ولكننا لم نشعر مطلقا بان حالة القبة وصلت الى درجة

من الخطورة تدعو الى هدمها . هذا من جهة ومن الجهة الاخرى فان عمل الهيئة الفنية فى هذه النقطة كان بداية — لا غاية لانها أضاعت وقتها الطويل فى عمل قطاع رأس للقبة ورقبتها والاعمدة الحاملة لها وأثبتت عليها مقدار ميل كل منها على الرأسى

هل الميل دليل الخلل ؟ هل كل بناية مائلة لابد من هدمها ؟ اذا كان الامر كذلك فلا بد من هدم مآذن جميع القطر المصرى الذى قل ان توجد فيه مئذنة رأسية . أما كان يصح الالتجاء الى الطرق الحسابية او التخطيطية لاثبات ان الميل خرج عن حدوده المقررة له فى علم مقاومة المواد

لم يقف الامر عند هذا الحد بل انا وقفنا على تصميم لشدة عملت لاحد الاعمدة الاربعة الحاملة لرقبة القبة فوجدناها غير جديرة بالبحث ولا تليق بنسبتها الى هيئة فنية تعمل على احياء أثر اسلامى نادر المثال بل درة ثمينة فى جبين العمارة الاسلامية

ايها السادة

بعد ان وفينا البحث حقه وبعد ان اقتنعنا تمام الاقتناع بوجوب الاحتفاظ بقبة المسجد الاقصى والعمل على اصلاحها بالترميم البسيط الوافى بالغرض . وبعد ان يئسنا من مقابلة كمال الدين بك والتفاهم معه . عمدنا الى وضع تقرير مفصل تضمن ما يأتى :

اولا — عدم الموافقة على هدم قبة المسجد الاقصى

ثانيا — عدم الموافقة على عمل جملون للصحن لان ذلك يحول

المسجد الى بازيليكا

ثالثا — تكليف عمال مصريين بعمل الشبابيك الملونة اللازمة لقبة الصخرة والسير فى عمل بقية الاصلاحات اللازمة لها على النظام المتبع عند لجنة حفظ الآثار العربية بمصر وعند اللجان الاثرية فى كافة انحاء العالم

ولما التأم المؤتمر يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٤ وزعنا على حضرات أعضائه نسخا من هذا التقرير فاقرنا مستر رتشموند ومستر هاريسون ومستر جاى على انها مقبولة كمبدء ولكن مناقشتها لا تكون الا بعد سماع أقوال كمال الدين بك الذى قال

« ان حالة قبة المسجد الاقصى وأعمدتها سيئة جداً من جهة »
« الثبات ، ولذا اقترح هدم هـذه المجموعة واعادة بنائها من »
« الاساس الى آخر القبة بمادة الخرصانة المسلحة ، خصوصا لان »
« المواد المكونة منها هذه المجموعة ليست متجانسة من وجهة المقاومة »
« فالاكتاف المقامة بين الاعمدة مصنوعة من الحجر وفوقها قطع »
« من خشب ، والعقود ليس لها من السمك ما يجاوب حساب هذه »
« الايام ، خصوصا اذا اريد أن يحيي الأثر قرونا عديدة. هذا من »
« جهة ومن الجهة الاخرى فهى مائلة والاساسات ليست مضمونة »
« وتحتاج الى التقوية بفرشة من الخرصانة المسلحة تمتد تحت جميع »
« الاعمدة واخيراً العقود ورقبة القبة بحالتها الراهنة لا ترضى من جهة »
« الثبات خصوصا وان سمكها البالغ ٠٫٨٥ متراً اكبر من عرض »
« العقود والقبة من خشب معظمه مستهلك »

« انه يقرر هدم المجموعة لانه يرى ان الحالة ستكون خطيرة اذا »
« ضابها لضمان المجموعة ؟ و بصفته مديراً لحفظ الآثار الاسلامية »
« بتركيا يذكر انه عمل في وقته أعمالا هامة تثبت شجاعة كبرى »
« فانه يرى ان المأمورية صعبة جداً ولا يمكن ان يتحقق من عدم »
« حدوث خطر من خطأ في التنفيذ يقضى على المواز بك وهذا »
« عمل لا يوجد من يقبل تحمل مسؤوليته

« واذا أمكن التوصل الى صلب المجموعة والعمل أسفلها ونجحت »
« عملية الترميم فلن يكن توزيع القوى الآتية من الاركان على الاعمدة »
« منتظماً لتغير شكل رقبة القبة أفقياً ورأسياً . وبذا تكون التقوية »
« غير تامة وتكون الرقبة والعقود مشوهة على الدوام ومحصورة بين »
« شيئين جديدين هما الاعمدة والقبة . واذا فرض وحفظت الرقبة »
« فانه يستحيل عمل قبة جديدة من الخرصانة المسلحة . اه

هذه أقوال الاستاذ كمال الدين بك ظل يرددها بضع ساعات ردأ على تقريرنا ولكن تكرار القائها زادنا اقتناعا بصحة آرائنا وبأن النتيجة ستكون في صالحنا

ايها السادة

قد يكون الاستاذ معماراً بارعا لا يبارى، ولكن ليس كل معمار ملم بعلم مقاومة المواد وحساب ثبات البناء الملم مهندس الانشاآت بها Structural Engineer وهذا الاعتقاد منا صرفنا عن مطالبة الاستاذ بالحسابات التى كان لابد له من اجرائها تأييداً لعبارته المطلية

بالطلاء الفنى . مع ان هذا الطلب عدل وحق ، وكان عليه أن يقدمها الى المؤتمر من تلقاء نفسه كمستند لعدالة دعواه كما شعر بذلك بعض زملائنا المندوبين الانجليز . ولو طالبناه بهذا الواجب لقصر أجل المناقشة لصالحنا ولكن النتيجة ربما كانت زعزعة عقيدة الكثيرين فى كفاءة هذا الاستاذ الفاضل

نعـــود الى ردنا الشفهى على بيانات كمال الدين بك فنلخصها فيما يلى : —

اولا — ان جميع المبانى الاثرية الهامة بنيت من الحجر والرخام والخشب وغيرها من المواد التى يقول الاستاذ انها غير متجانسة من جهة المقاومة . وان مساجد الناصر محمد بن قلاوون والقاضى يحيى زين الدين واحمد بن طولون والحاكم والماردانى تحاكى المسجد الاقصى فى وجود قبة أمام المحراب قائمة على أعمدة رخام فوقها طبال خشبية تتكىء عليها عقود حجرية فوقها رقبة حجرية تعلوها قبة خشبية أو بنائية . وهذه القباب قاومت صدمات الزمان قروناً عديدة باصلاح بسيط أدخل عليها من آن الى آن

ثانياً — ان سمك عقد قبة المسجد الاقصى يبلغ نحو ٥٨ر٠ متراً وفتحة هذا العقد تبلغ حوالى تسعة أمتار . بينما سمك عقد قبة الملكة صفية يبلغ ٥٤ر٠ متراً والفتحة ٠ر١٠ أمتار ويحمل قبة مبنية من الطوب وتسندها دعائم وثقلها لا شك يزيد عن ثقل قبة المسجد الاقصى . وفوق هذا وذاك فان عقد هذا الاخير لم تظهر على متجه علامات التشقق او التفقت أو غيرها من دلائل زيادة الاجهاد والعجز عن

المقاومة كما قيل . فضلا عن ان مادة حجرها أجود منها في مسجد الملكة صفية

ثالثاً — ان الميول ليست مخيفة ولا متجاوزة الحد وان البت في أمرها يرجع الى الارقام والتخطيط وهذان المستندان معدومان على بساطتهما . وعلاوة على ذلك فاننا أظهرنا استعدادنا لعمل هـذا الحساب اذا طلب منا

رابعاً — انه ما من دليل هندسي او حسابي قام على عدم ثبات العقود والرقبة بل ما ذكرناه آنفاً ينفي عنهما هذه التهم

خامسا — ان خشب القبة الداخلية سليم معظمه والباقي القليل ضعيف نسبيا ولـكننا اقترحنا طريقة لتقوية القبة تمنع كل خوف من جهة عطب أخشابها . ومن دواعي أسفنا انه لم يفكر أحد مطلقا في طلاء هذه الاخشاب بمادة زيتية أو بيتومية تحفظها من السوس كما أهمل صلب الاعمدة الحاملة للقبة مع ان هذا من أهم الواجبات . ولو تم ذلك بالطريقة التي اتبعت في خلال أعمدة جامع قلاوون لما كان هناك حاجة الى تعطيل اقامة الشعائر في هـــذا الجزء الهام من المسجد الاقصى

أما القبة الخارجية فأخشابها ضعيفة ولكنهـا عديمة الاهمية العمارية والتاريخية

سادسا — ليس هناك أي دليل على ضعف الاساسات ، ولم يتخذ أي اجراء لاثبات هذا الضعف الذي نظن أن كشفه ميسور لو وجد

سابعا — اننا كمهندسين — لا معماريين - لا نرى صعوبة فى الاحتفاظ بالمجموعة الاثرية على حالتها واصلاحها ولا نتوقع حدوث خطر الا من خطأ فى التنفيذ وهذا لا شأن لنا به ولو كانت هـذ العملية فى مصر لنفذناها وتحملنا مسؤولية التنفيذ كما يتحمله مهندسونا فى غيرها من أعمال هامة لا تقاس حالة المسجد الاقصى بحالتها

ثامنا — ان عدم انتظام الشكل او حدوث ميول رأسية او أفقية لا تخلو منه عمارة أثرية قديمة ولكن حدوثها لا يحتم هدمها ، ولو عمل بهـذا المبدأ لما بقى على وجه الارض أثر واحد وليس من المهم — اذا كانت الغاية هى حفظ الاثر — ان يكون بعض أو كل أجزائه مشوها

لم تؤثر هذه البراهين فى عقلية الاستاذ كمال الدين بك ولكنها فعلت فعلها فى غيره من المندوبين الذين وزنوها بميزان الحكمة والاعتدال فانحازوا الينا جهاراً ووعدونا بالتأييد والانضمام الى صفنا فى الجلسة التالية التى عقدت بعد ظهر ذلك اليوم فى دار فضيلة مفتى القدس الذى هو رئيس المجلس الاسلامى الاعلى وكان قد تفضل فدعى هيئة المؤتمر الى تناول الغذاء عنده . ونحن اذا شكرناه فلا يكون الشكر لهذه المناسبة لسجاياه ومزاياه وغيرته على الحرم وعلى كل ما يهم فلسطين دينيا واجتماعيا وسياسيا ، وهذا ليس كثيراً ولا مستغربا على سليل عائلة الحسينى الغنية عن التعريف

افتتح فضيلة المفتى الجلسة . وكان الدور فى الكلام للمستر ريتشموند كبير المندوبين الانجليز ومن كبار موظفى حكومة فلسطين فى ذلك

الوقت ومدير ادارة عموم المبانى المصرية سابقا والمهندس بلجنة حفظ الآثار العربية من قبل

عبر هذا الرجل الرزين عن رأيه الذى ظهر لنا انه رأى بقية زملائه — بجملة وجيزة جامعة هذا مضمونها

سمعنا حجج زمائلنا مندوبى مصر بعد ما قرأنا تقريرهم وبعد ما شرح لنا الاستاذ كمال الدين بك وجهة نظره واستصوابه هدم مجموعة القبة وما تحتها الى اساس الاعمدة واعادة عملها جديدة مع بناء القبة من الخرسانه المسلحة واعادة لصق القاشانى القيم عليها وتكمله الفاقد منه بآخر جديد من نوعه

ولكن لاعتبارات دينية وسياسية وأثرية وعدم الرغبة فى اثارة الرأى الاسلامى واغضاب رجال الآثار شرقاً وغرباً أرى ان نعمل برأى زملائنا المصريين فنحتفظ بالمجموعة مع تقويم الاعمدة وعمل الاصلاحات الضرورية التى تحتاجها . اه

ما كاد مستر ريشموند يتلو هـذا البيان بالانجليزية ويفسر للهيئة باللغة العربية حتى شعر الجميع بالارتياح إلا الاستاذ كمال الدين بك فانه تأثر وأدرك فى هذه اللحظة فقط انه « بشر مثلنا » فتنازل وتفضل بالانتقال بضع خطوات وجلس بجانبنا يبغى التفاهم معنا حتى تفاهمنا ورضى أن يأخذ برأينا ، فأعلنا ذلك للحاضرين الذين سروا بانفراج الازمة . وقر الرأى على كتابة قرار بذلك وتحدد لامضائه الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاحد ٢٤ فبراير بمكتب الهيئة الفنية

أيها السادة

لم تكن صيغة القرار الذى اتفقنا على امضائه موجبة لرضائنا ، ولكن حبا فى الوفاق وانكاراً لذاتنا قبلناه مع ما فيه من اغماط لحقنا . وانكار لمجهوداتنا وبحثنا وتمسكنا بحقوق هذا الحرم المقدس ومع نسبة كل شيء الى الاستاذ كمال الدين بك . ولكن أتدرون ماذا حصل بعد كل هذا

إجتمعنا في الموعد المضروب بمكتب الهيئة الفنية استعداداً لامضاء ذلك القرار الابتر . ولاخذ صورتنا الشمسية مجتمعين متفقين واذا بأحد أعضاء الهيئة الفنية ونظنه نهاد بك قد أبرز خطابا من الاستاذ كمال الدين بك يعتذر فيه عن عدم إمكانه الحضور لمرضه ويأسف لعدم ارتياحه لقرار أمس وعدم تحمله مسؤولية تنفيذه وبالتالى لعدم امكانه إمضائه

فى هذه اللحظة اسقط فى أيدينا وظهرت على الوجوه دلائل الاسف والامتعاض ورفض المندوبون إمضاء القرار فرفضنا نحن إمضاءه كذلك وبعثنا الى فضيلة رئيس المجلس الاسلامى الاعلى بالكتاب الآتى ملخصه

« اننا بعد اسبوع قضيناه فى فحص حالة الحرم الشريف »
« وطريقة اصلاحه وبعد كتابة تقرير برأينا فى هذا الاصلاح »
« وكيفية تنفيذه وموافقة هيئة المؤتمر عليه وقبول الاستاذ كمال الدين »
« بك امضاء قرار بهذا المعنى عاد حضرته فعدل عن إمضائه

« وحيث ان آراءنا فى الاصلاح قد تضمنهـا تقريرنا السالف »
« الذكر وقد عزمنا على العودة الى مصر غداً ان شاء الله فنحن »
« مستعدون لامضاء القرار فى مصر بعد ان يمضيه حضرة الاستاذ »
« وحضرات الاعضاء وختاماً... الخ

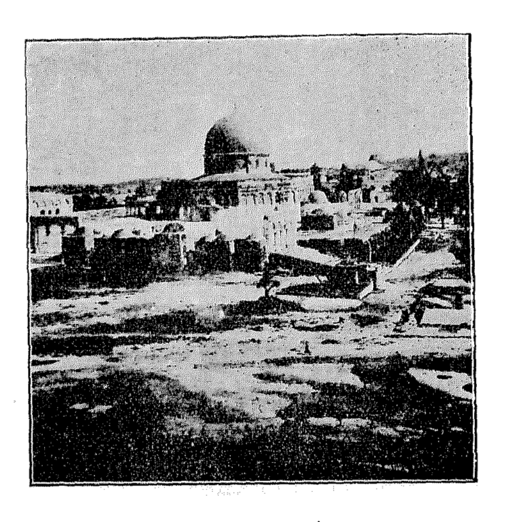
ولقد كان أسفنا شديداً لعدم امكاننا اجابة طلب فضيلته التأخير اياما أخرى قد يتم فيها إمضاء القرار . عـدنا الى الفندق وأعددنا معدات السفر فى الموعد الذى حددناه ، ولـكن حدث ما ليس فى الحسبان ، حدث اننا بينما كـنا نتناول العشاء ، حضر خادم فضيلة المفتى ومعه القرار ممضى من الاستاذ كمال الدين بك فدهشنا لهذه المناورة الغريبة ولـكننا رأينا الفرصة سانحة لادخال تعديل على نص القرار يحفظ لنا حقنا فى العمل والمجهود نوعا فأدخلنا تعديلين نعدهما جوهريين بالنسبة لنا دون أن تمس شيئا من الحقوق التى أدعاها الاستاذ لنفسه وأفهمنا الرسول باستعدادنا لامضاء القرار اذا أدخل عليـه هذا التعديل

وفى صباح الاثنين ٢٥ فبراير غادرنا القدس الشريف مودعين بكل اكرام يليق بمن ودعونا من حضرات أعضاء هيئة المجلس الاسلامى الاعلى ورصفائنا المهندسين أعضاء الهيئة الفنية وفى هـذه اللحظة اخبرنا بأن القرار سيعدل كما طلبنا ويرسل الينا بمصر لامضائه وقدر ذلك فعلا وامضينا القرار في منتصف شهر مارس الماضى

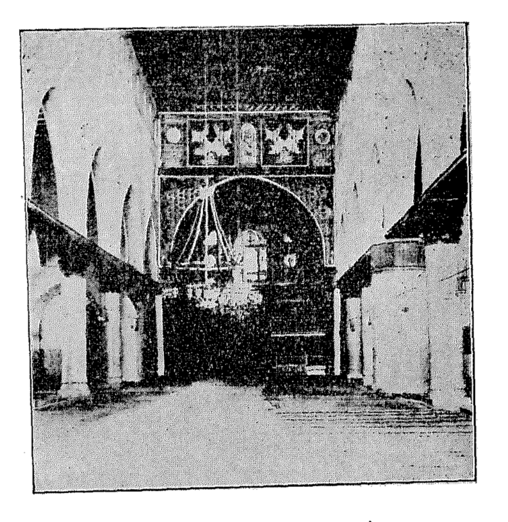
ومهما كانت قدرتنا عظيمة على وصف الحفاوة والاكرام والعناية بذول الجهد لراحتنا وادخال السرور علينا وتسهيل أعمالنا وغير ذلك

من المعونة التى خصنا بها المجلس الاعلى — نقول مهما كانت قدرتنا عظيمة — فانا عاجزون تماما عن إيفاء هيئته المحترمة حقها من المدح والثناء اللذين نراها فى غنى عنهما . ولا غرابة فى ذلك فان هذه الهيئة ضمت اهل النبالة والفضل والجود والكرم والمجد الاثيل

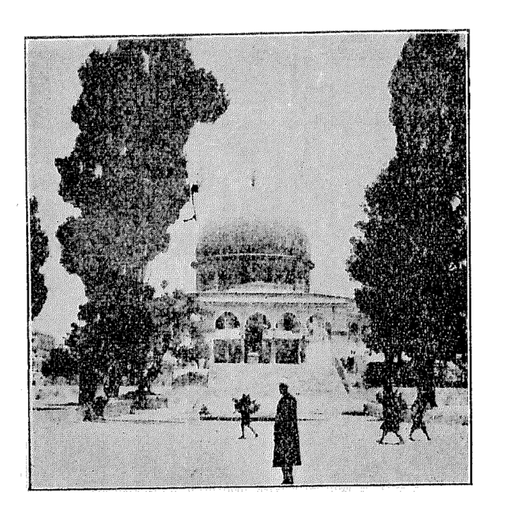
بقيت لنا كلمة نوجهها الى حضراتكم خصوصاً والى المصريين عموماً — تلك هى مد يد المعونة والمساعدة الى هذا المشروع الجليل مشروع اصلاح الحرم القدسى الشريف بما عهد فى المصريين من الجود والسخاء والتهافت على عمل الخير والمبادرة ببسط الكفوف لانقاذ هذا الاثر المهيب. وتحقيق ظن الفلسطينيين خصوصا والمسلمين عموما فى نجدتهم ورغبتهم في التقرب الى الله . ويقيننا ان نداءنا هذا لا يضيع صرخة فى واد وان المصريين وحدهم أهل لان تأخذ على عاتقهم كل النفقات التى يقتضيها اصلاح هــذا الحرم مهما كان مبلغها . وان يبذل كل منا ما فى وسعه لانهاض همم مواطنيننا على فتح باب التبرع والاكتتاب لهذا العمل الشريف حقق الله الآمال فيكم وسدد خطاكم إنه نعم المعين ؟



منظر عام للحرم القدسي



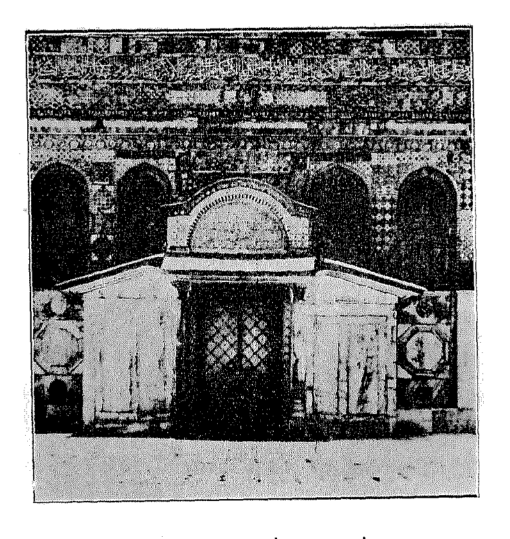
منظر جزء من داخل المسجد الاقصي



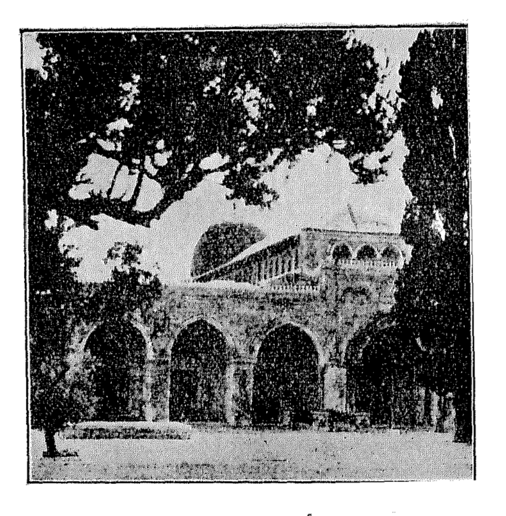
منظر خارجى لقبة الصخرة



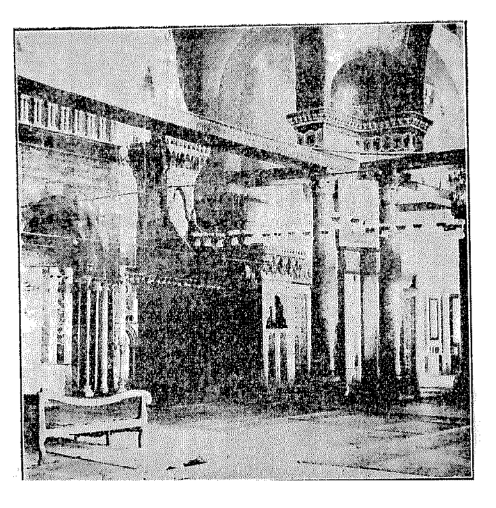
منظر جزء من داخل قبة الصخرة



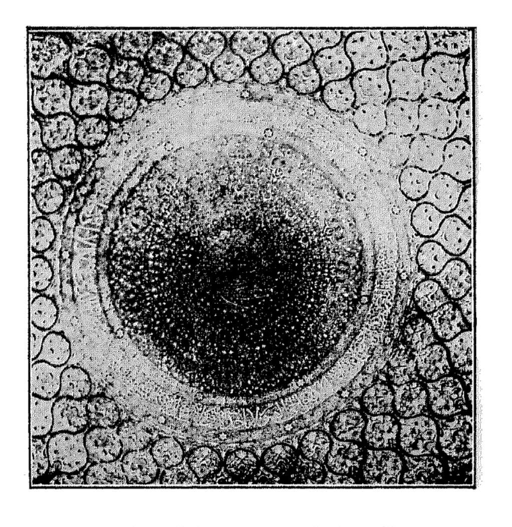
منظر خارجي لجزء من قبة الصخره



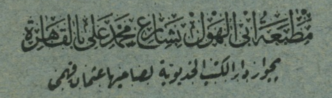
منظر لجزء أمامى من المسجد الاقصى



منظر المحراب للمسجد الاقصى
وبه الاعمدة الحامله للقبة المائلة



منظر يبين النقوش الداخلية لقبة الصخرة


مطبعة أبي الهول بشارع محمد علي بالقاهرة
بجوار دار الكتب الخديوية لصاحبها عثمان فهمي